بريد الجمعة

ثراء المعارف الرقمية

الجُمعة ■ ١٨ يناير ٢٠٠٢ ■

يكتبه: عبدالوهاب مطاوع

تحت النظار!

[illegible] على حل [illegible] سنة [illegible] أما [illegible] حوله [illegible] ويصرا [illegible] ويسرت [illegible] السؤولية [illegible] من [illegible] الاخير من عمره [illegible] عاما [illegible] واستمرت [illegible] واسرته [illegible] سنوات [illegible] سهور من الوفاء اكتشفا ان لدى سكنة في الاثابيب وان احلى الوحيد هو عملية الانجاب وصدمت صدمة شديدة لكني تقبلت الامر وحمدت ربي على كل شيء. خاصة ان الاطباء اكدوا لي ان سبعة حالات عملية الانابيب بالنسبة لي ستكون كبيرة نظرا لصغر سني وكنت خلال مرحلة الفحوص قد حرصت على تكتم المشكلة عن أهل زوجي خوفا من رد فعلهم وكان هو يؤكد لي أن والدته اذا عرفت بها فسوف تحيطني بحنانها وعطفها. كما تفعل الام مع ابنتها. وحين تأكدنا من أنه لا أمل لنا إلا في الأنابيب رأى زوجي أنه لابد من مصارحة أهله بالأمر لأن من حقهم أن يعرفوه وبدأت استعد نفسيا لعملية الأنابيب وأتخيل نفسي وأنا أجريها وحولي أهلي وأهل زوجي يشدون من أزري. لكني وجدت زوجي مهموما وحزينا وعرفت منه أن أهله قد رفضوا فكرة الإنجاب عن طريق الأنابيب وقالوا له إنهم يريدون له طفلا طبيعيا وليس طفل أنابيب!

وسألته في إشفاق عما إذا كان يفكر في الزواج من أخرى لينجب منها بطريقة طبيعية. فقال لي إنه حائر ولا يريد أن يقدمني، لأنه سيعيد وراض عن حياته معي. و لا يريد في نفس الوقت أن يغضب والدته ولا أن يحرمها من الأمل الذي تتطلع إليه وهو أن ترى حفيدا لها منه. ونهضني القلق والخوف ثم بدأت استعيد توازني مرة أخرى حين قال لي زوجي أنه سيحاول إقناع والدته بقبول فكرة الأنابيب ونصحني بالحديث إليها وإشعارها برغبتي في الحفاظ على حياتي الزوجية معه وبحقي في أن أستمسك بالأمل حتى اللحظة الأخيرة، وتحدثت إليها بالفعل وإلى شقيق زوجي وقلت لهما إنني لا أريد أن أفقد زوجي الذي أحببته ولا حياتي معه ولا أملي أيضا في الإنجاب منه، وتأثرا كثيرا بما سمعاه مني وعبرا عن تفهمهما لمشاعري وكيف أنهما يقدران جيدا أنه لا ذنب لي في هذه المشكلة، لكن العمر يجري من ناحية أخرى وزوجي لم يعد صغيرا في السن لكي ينتظر محاولات قد تنجح وقد تفشل للإنجاب عن طريق الأنابيب، فطالبتهما وطالبهما زوجي بمنحنا فرصتنا للمحاولة وعدته سنة اذا لم ننجح من هذا الحمل فاني سأعود لزوجي حرية التصرف وفعل ما يريد بحياته بل لني أترك له هذه الحرية من الآن إذا شاء أن يتزوج غيري

وبعد مناقشات طويلة بيني وبينهم حول الحب وهو هل هانية أم نصحية توصل زوجي مع أهله إلى موافقتهم على إعطائنا مهلة عشرة شهور نحاول خلالها الإنجاب بهذه الطريقة فإذا لم يحدث في تحقيق الأمل يكون على أن أترك زوجي وأنفصل عنه وأفسح له المجال لكي يتزوج مرة أخرى لأنه لن يستطيع الجمع بين امرأتين. وقبلت بذلك على مضض لقصر المهلة وشعرت بالقلق وعدم الأمان وكيف لي أن أشعر بالأمان وأنا احس بأنني موضع اختبار أو تحت النظار لفترة محدودة من الزمن إذا فشلت خلالها تنتهي حياتي الزوجية وأفقد زوجي؟ وكيف لي أن أنجح في هذا الاختبار والإنسانة السليمة القادرة على الإنجاب قد تعجز عنه في مثل هذه الظروف المشحونة، لأن الحمل يحتاج إلى الاستقرار النفسي والدفء الأسري والشعور بالأمان. إنني أشفق على زوجي الذي يريد إرضاء جميع الأطراف فيريد أن يحقق لأهله أملهم المشروع في رؤية طفل منه. ويريد في نفس الوقت ألا يظلمني وأن يمنحني حقي في الإنجاب. وأنا أريد من ناحيتي الحفاظ على بيتي وزوجي وأملي في الإنجاب وأهله يشعرون أنهم قد قدموا لنا تضحية بالقبول بفكرة الأنابيب التي لا يحبذونها وبالانتظار لمدة عشرة شهور لإجراء المحاولات التي يرفضونها من الأساس. والجو مشحون من كل الاتجاهات. فأين الخطأ والصواب في مواقف كل طرف من الأطراف وما هي حدود المسموح والممنوع في تدخل الأهل في حياة الأبناء الزوجية، وما هي حدود البر والطاعة للأهل في هذا الأمر الحساس؟

إنني شخصيا أسلم من الآن بأن كل ما سوف يحدث بعد فترة الانتظار سيكون خيرا بإذن الله لأنه سيكون حكم الله في وحكم الله خير دائما للإنسان، لكني متألمة وحائرة.. وأريد نصيحتك.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

جميل أن تسلمي من الآن باسوأ العواقب المحتملة وتتقبلي أقدارك معها إذا جرت بها المقادير، ذلك أن التسليم باسوأ الفروض يحرر الإنسان من الخوف والقلق وترقب الملاء، ويطلق ملكاته المكبلة بالخوف من المستقبل ويزيد من قدرته على مواجهة المصاعب. وتحجيم خسائرها واستثمار المتاح له من جوانب السعادة الأخرى على نحو أفضل. فإذا ترفقت به السماء بعد ذلك وأعفته مما تحسب له طويلا وفاجأته ببعض جوانزها الثمينة كانت سعادته بها مضاعفة لأنها قد شبطت عليه بعد فقد الرجاء فيها. وإن شاءت له عكس ذلك. فلقد عرف منذ البداية ما كان ينتظره من اختبارات الحياة القاسية وتهيأ له نفسيا واستعد لمواجهته واحتمال الحياة به، وحق له أن يقول ما قاله أحد الصالحين من قبل.. «الخير أردت ولا يعلم الغيب إلا الله» غير أنه من المؤلم حقا أن يشعر المرء أنه موضع اختبار الآخرين في أمر شديد الخصوصية والحساسية بطبيعته.. ولا حيلة لأحد فيه كهذا الأمر، فإذا كان ثمة ما يقال حول مواقف الأطراف المختلفة من هذه المشكلة.. فهو أنه لم يكن يجوز التعامل معها أبدا بصيغة الإنذارات القضائية التي تمنح للمدين مهلة زمنية محددة باليوم والساعة لسداد الدين وإلا اتخذت الإجراءات العقابية ضده فور انتهائها، فالزوجة ليست مجرد رحم يجري ملؤه وتفريغه بأوامر الأهل المتلهفين على رؤية حفيد لهم.. ولقد كان الأحرى بهم أن يسلموا لكما بحقكما في اختيار حياتكما إذا رضيتما عنها سواء تحقق لكما الإنجاب أم لم يتحقق، أو كان الأحرى بهم على الأقل أن يعفوكما من هذا الشرط المعيب ويطلقوا أيديكما في السعي وراء أمل الإنجاب عن طريق الأنابيب دون تحديد صارم لمهلة الانتظار، ذلك أن هذا التحديد الزمني الدقيق يتعامل معكما كما لو كنتما زوجين من فئران التجارب، يرقب العلماء تزاوجهما في صندوق زجاجي، وحتى حيوانات التجارب قد تعجز عن الإنسال إذا استشعرت وطأة العيون التي ترقبها وتحرمها من خصوصيتها الضرورية في مثل هذا الأمر.. فكيف بزوجين من البشر يرغب كل منهما في الآخر ويتطلعان كل يوم إلى نتيجة الحائط ليعرفا كم بقي لهما من زمن الحياة المشتركة قبل أن يفترقا.

إن الحمل كما تقولين يحتاج بالفعل إلى اطمئنان الطرفين ليومهما وغدهما لكي ينعم لهما الأمل فيه. فإذا كان الأهل يبررون هذا التحديد الزمني العجيب بتأخر سن زوجك نسبيا، فإن الرجل يستطيع بيولوجيا أن ينسل حتى سن السبعين. وتأخره في الزواج إلى الواجهة والثلاثين من عمره هو مسئوليته وحده وليس مسئولية أي طرف آخر. فضلا عن أن عمليات الحمل عن طريق الأنابيب قد تتكرر عدة مرات قبل أن تحقق المرجو منها.. فما معنى هذا التحديد الزمني الصارم إذن؟

وماذا يضطرك يا سيدتي للقبول بهذا الاختبار المهين؟

إن أهل زوجك ليسوا في تقديري المسئولين وحدهم عن هذه المهلة القصيرة وإنما يشاركهم المسئولية عنها زوجك إذ يخيل إلي أنه يتمزق في داخله بين الرغبة في الاحتفاظ بك وبين اللهفة على الإنجاب من غيرك إذا عجزت أنت عنه، ولهذا فإنه لم يحسم الأمر بقوة ويرفض هذه المهلة.. ولم يستمسك بحقه في اختيار حياته الخاصة سواء نجحت محاولة الإنجاب منك أم لم تنجح وإنما شارك أهله هذا الحل الوسط.. وقبل بهذه المهلة الأخيرة إبراء للذمة ودفعا للحرج الانساني وربما العاطفي الذي يستشعره تجاهك، ولو لم يكن الأمر كذلك لما عجز عن حسم الأمر بلا تردد.. ولو فعل ذلك لما تعدى على حق الأهل عليه في شيء.. لأن حياته الخاصة ملك له في النهاية.. وليس من عقوق الأهل أن يحتفظ بالزوجة التي أحبها بغض النظر عن قدرتها على الإنجاب أو عجزها عنه.. كما أن الأهل لا يتطلعون إلى إنجابه إلا أملاً في سعادته هو في الأساس، ثم سعادتهم بذريته من بعده ولو استشعروا رغبته الجادة في استمرار حياته مع زوجته على أي نحو شاءته لهما الأقدار لما الحوا عليه طويلا بتغيير هذه الحياة والتطلع إلى حياة أخرى لا يعرف أحد هل سيسعد بها أم سيشقى. لهذا فإن الأمر كله يرجع إليه في تحديد هذه المهلة.. أو مدها أو إسقاطها نهائيا وفتح باب الأمل على مصراعيه أمامك في الإنجاب والسعادة إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً.